القسم الثالث

العروة الوثقى

دراسة تطبيقية لمقومات نجاح

الصحافة الإسلامية

تمهيد:

كان ظهور العروة الوثقى تلبية لحاجة العالم الإسلامى إلى صحيفة تساير عصرها، وتعبر عما يجيش فى خواطره، وتناقش مشاكله، وتتعرض لآماله وتطلعاته، وتستحثه للدفاع عن نفسه، والإجتماع حول وحدته، وتخطى عوامل تخلفه.

وحينما ظهرت العروة الوثقى، كانت الظروف كلها مهيأة لنجاحها ، محررون على أعلى مستوى من الوعى السياسى، والنضج الفكرى، وعالم إسلامى يتمخض عن مستقبل مشرق، وإستعداد للثورة على الإستعمار، وحنين للعودة إلى مبادئ الدين الإسلامى الصحيحة.

ولم تكد هذه الصحيفة تعلن عن ظهورها، حتى تصدت لها قوى البغى، التى خططت لنفسها أن يظل العالم الإسلامى فى غفوته وكبوته، حتى يتسنى لها الاستيلاء عليه، وإخضاع ما تبقى منه لنفوذها، وكان وجود هذه الصحيفة من شأنه أن يعرقل مخططاتهم، ويفسد دسائسهم. ولذلك حوربت وتعرضت لشتى أنواع الإضطهاد من حرمان من دخول الأمصار الإسلامية، وفرض غرامة كبيرة على من توجد عنده، ومنع الصحف الأخرى من أن تنقل عنها، وتحريض صحف أخرى على تشويه ما تقدمه، أو تفسيره وفقا لما يخدم المصالح الإستعمارية.

ولهذا كله لم يقدر لهذه الصحيفة البقاء طويلا، إذ صدر العدد الأول منها فى ١١ مارس ١٨٨٤، والعدد الثامن عشر والأخير فى ١٧ أكتوبر عام ١٨٨٤، ورغم أنها فترة قصيرة لا تقاس بالنسبة لعمر الصحف إلا أن هذه الصحيفة استطاعت خلال هذه الفترة المحدودة أن تصل إلى درجة كبيرة من الإنتشار، فقد كانت تقرأ فى كل من مصر، والهند، وتركيا، والجزيرة العربية، وسوريا، والعراق، وإيران، وأفغانستان، فضلا عن الصحف الأخرى التى كانت تترجم مقالاتها.

ومنذ توقفها عن الصدور وحتى الآن لم تستطع أية صحيفة أن تحتل هذا الفراغ، وأن تتخطى الحدود الإقليمية، وتصل إلى مثل هذه الدرجة من الانتشار والتأثير العالمى.

ومن هنا تأتى أهمية دراسة العروة الوثقى، من حيث كونها وسيلة تستخدم مادة معينة للوصول إلى جمهور معين، ولغرض محدد، للوقوف على العوامل التى ساعدت على نجاحها كصحيفة إسلامية عالمية.. حتى يمكن بالتالى تحديد الأسس التى يمكن أن تحذوها الصحف الأخرى لتصل إلى مثل هذه الدرجة من الانتشار، وتحقق ما حققته من نجاح.

وكان من أهم المناهج التى تساعد على الوفاء بمتطلبات هذه الدراسة منهج تحليل المضمون، الذى يعطى الفرصة لتحليل المعلومات والأفكار التى تناولتها المجلة تحليلا علميا يمكننا من معرفة الموضوعات التى تناولتها، والأفكار التى ركزت عليها فى إطار كل موضوع منها، وإلى أى مدى اتفقت هذه المادة مع ما ارتسمته لنفسها من أهداف، ومع أهداف الجمهور الذى تخاطبه، كما تمكننا من التنبؤ بالمقومات الأساسية للقائمين بالإتصال، وذلك من خلال ممارسة العاملين فيها لعملية الإتصال ومدى تفهمهم لخصائص الوسيلة التى يستخدمونها.

وعلى أية حال، فإن إستخدام هذا المنهج أمر أساسى لتقييم وسائل الإعلام تقييما علميا.. وإذا كانت السنوات العشر القادمة سوف تتمخض عن الدعوة إلى استخدام وسائل الإعلام استخداما يجعلها فى خدمة جماهيرها، ولصالح التنمية السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فإننا سنكون فى حاجة ماسة إلى دراسة وتقييم وسائل الإعلام المصرية، وتحديد مدى خدمة هذه الوسائل لجماهيرها، حتى نستطيع ونحن نخطط لهذه الوسائل أن نتلافى أوجه القصور والسلبيات التى عاقتها دون القيام بمسئولياتها فى كل مجال من المجالات.

ففى مجال الفكر السياسى نحن فى حاجة إلى معرفة موقف هذه الوسائل من قضية فلسطين، والوحدة العربية، والقضايا السياسية الدولية المعاصرة، وما هى الصورة التى تقدمها لجماهيرها عن كل من إسرائيل وروسيا وأمريكا وأوروبا والدول العربية وباقى بلدان العالم؟ وما هى مواقفها من قضايانا؟ وأساليبها الدعائية التى تستخدم ضدنا؟. وما هى الصورة التى تغرسها فى نفوس قرائها عن مصر؟ وما مدى نجاحها فى زيادة درجة المساهمة السياسية لجماهيرها وتبصرتهم بالقضايا والحقائق

السياسية المتعلقة بالوضع الداخلى؟ ودرجة الملائمة بين مصالح الجماهير والحكام؟. وما هى الأهداف السياسية التى تعمل من أجلها؟ وما هى صورة مصر فى الصحافة العربية وصحافة العالم؟ وكيف عملت وسائلنا الإعلامية على تصحيح هذه الصورة؟.

كما أنه يمكن باستخدام هذا المنهج ونحن بصدد التأريخ للثورة تحديد دور الصحافة فى التمهيد للثورة، وكيف واكبتها؟ وكيف تعرضت للقضايا التى فجرتها؟ ودورها تخفيف التوتر الناجم عن هذا التغيير. وإلى أى مدى نجحت فى تسليط الأضواء على قادة الثورة؟ وفى ربط الفكر الثورى بمشاعر الجماهير؟ كما أنه يمكن من خلال هذه الدراسات معرفة الجذور العميقة للفكر الناصرى، ولفكر الرئيس أنور السادات، والعوامل التى ساهمت فى تكوينهما الفكرى، ومواقفهما تجاه القضايا المحلية، والعربية، والدولية، ومدى ثبات هذا الفكر؟ ودرجة تعبيره عن مطالب الجماهير؟ وإرتباطه بظروف البيئة قبل قيام الثورة وبعدها ومدى صلة هذا الفكر بالقرارات التى اتخذت؟.

أما فى المجال الإقتصادى فنحن فى حاجة إلى دراسة موقفها من قضايا التصنيع؟ والتنمية الزراعية؟ وكيف عملت على نشر الأساليب الزراعية الحديثة؟ وعلى نشر الوعى الاستهلاكى والصحى؟ وموقفها من تنظيم الأسرة؟ ومن نشر القدرة على الابتكار وتقدير المال العام ومقاومة الانحرافات، وكيف تناولت القضايا الاجتماعية الناجمة عن التصنيع، والمشاكل الأخرى، أبا لوعى والاحساس بالمسئولية وتقديم الحلول الإيجابية أم بمجرد التهليل والتهويل والإثارة؟ وفضلا عن ذلك فنحن فى حاجة إلى دراسة موقفها من قضايا الحياة اليومية، كالاسكان والتموين، والمواصلات.

كما أننا فى مجال الفكر الدينى فى حاجة إلى معرفة مدى قيام هذه الوسائل بنشر الوعى والإحساس بالدين، وطريقة تناولها للقضايا الدينية، ومدى اهتمامها بها وما هى العوامل التى تؤثر على مدى وكيفية تناول وسائل الإعلام للقضايا الدينية والصورة التى تغرسها فى نفوس جماهيرها عن رجل الدين، ومدى مقاومتها

للتعصب والإنحراف الديني، وبالإضافة إلى ذلك فإننا فى حاجة إلى دراسة منطق القرآن فى إعداد الدعاة، وما هى المقومات الأساسية للرسالة الإعلامية فى القرآن، ومنطق القرآن فى الدعوة والاقناع، وتاريخ الدعوة الدينية منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم حتى الآن.. وكيف يمكن الاستفادة من ذلك فى التخطيط للدعوة الدينية، وفى إعداد الدعاة. وفى العودة بالمسجد إلى ممارسة مهامه الأساسية التى كان يمارسها فى صدر الإسلام، وتحديد رسالته الإعلامية، وقبل هذا وذاك نحن فى حاجة إلى البحث عن وسائل للاستفادة من خصائص كل من نظامى الاتصال الشخصى والجماهيرى، وإيجاد الروابط التى تربط بينهما بما يجعلهما يسيران فى دائرة واحدة ولصالح الجماهير؟.

وإذا كنت قد أخذت زمام المبادرة وقمت باعداد هذه الدراسة من واقع هذا المفهوم فإن الوفاء بكل ما تتطلبه هذه الموضوعات من أبحاث لن يكون فى مقدرة شخص بمفرده، فقد ظلت وسائل الإعلام حتى هذه اللحظة دون تقييم علمى شامل: ولكى نقوم بهذا التقييم، وبالتالى بوضع الخطط التى تساعد وسائل الإعلام على تلافى أوجة القصور والسلبيات لابد من أن تتضافر جهود كلية الإعلام وأقسام الصحافة بكلية اللغة العربية، وكلية الآداب بسوهاج، مع جهود الهيئة العامة للاستعلامات بوزارة الإعلام، وذلك لإعداد تقييم علمى شامل لوسائل الإعلام على أن تختص كلية الإعلام بدراسة الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويقصر قسم الصحافة بآداب سوهاج جهوده على الموضوعات الخاصة بالبيئة المحلية، ويتناول قسم الصحافة بكلية اللغة العربية الجوانب الخاصة بالإعلام الدينى، أما الهيئة العامة للاستعلامات فتختص بدراسة الموضوعات المتعلقة بالصحافة العالمية من حيث طريقة تناولها لقضايانا وأساليبها الدعائية، .. وذلك كخطوة نحو إنشاء معهد أبحاث متخصص لدراسات تحليل المضمون تكون مهمته متابعة وتقييم وسائل الإعلام المصرية والعربية فى كافة تلك المجالات.

الفصل الأول
ظروف العصر

فى بداية منتصف القرن ١٩، وعلى التحديد فى سنة ١٨٥٧ تم للانجليز الاستيلاء على الهند سياسيا وانتقلت سلطة الحكم رسميا من شركة الهند الشرقية إلى التاج البريطانى، وزالت بذلك إحدى الدول الإسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن السادس عشر الميلادى، وهى دولة المغول فى الهند، أو الدولة التيمورية (نسبة إلى تيمور لنك مؤسس هذه الأمبراطوية الإسلامية) فى آسيا الوسطى. أما الدولتان الأخريان إذ ذاك فهما الدولة الصفوية فى إيران، ودولة الأتراك العثمانية فى آسيا الصغرى وشرقى أوربا (١).

كما تم فى السنة نفسها، وهى سنة ١٨٥٧ إستيلاء الفرنسيين على الجزائر كلها إلى الصحراء، بعد أن ابتدأوا غزوها سنة ١٨٣٠. كما تم للانجليز الاستيلاء على مصر سنة ١٨٨٢م.

ولم يكد القرن التاسع عشر ينتهى حتى كان الإستعمار الغربى قد تمكن من السيطرة سيطرة تامة على المسلمين فى آسيا، وشرقيها، واتخذ له نقطة إرتكاز قوية فى أفريقيا، كما تمكن من مد نفوذه إلى قلب العالم الإسلامى، ومركزه الرسمى فى منطقة الشرق الأدنى ـ وبذلك طوق العالم الإسلامى من الشرق والغرب، وسلط ألاعيبه ودسائسه على بقية التجمعات الإسلامية الأخرى بين هذين الطرفين... وماجاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها، حتى أصبح العالم الإسلامى كله تحت نفوذ هذا المستعمر.

وقد حاول الاستعمار الغربى أن ينفرد بالتوجيه داخل الشعوب الإسلامية، ورغم ما بذله فى سبيل تفرده بذلك من مال وسلطة ودهاء سياسى، وتبشير بالفكر الأوربى، وبالمسيحية، وتيئيس للمسلمين فى صور شتى، فى مستقبلهم، وعلاقتهم بإسلامهم، فقد وجد مقاومة له ومعارضة (٢).

وقد أخذت المقاومة للاستعمار طابعا سياسيا، ولكن «قامت على توجيه إسلامى وعلى فكرة إسلامية أصيلة»[٣].

وكان جمال الدين الأفغانى أول من أدرك ما تنطوى عليه سياسة التوسع الغربى من تهديد لاستقلال دول الإسلام، فحاول تعبئة الجماهير روحيا، وأكثر من مراجعة ملوك الإسلام؛ منذرا إياهم بما يتهددهم ناصحا باتخاذ ما يلزم من وسائل الدفاع، كما أخذ ينشر أفكاره السياسية محاربا تدخل بعض الدول الغربية فى شئون الأمم الإسلامية، خصوصا فى مصر والهند [٤].

وكانت حادثة الإحتلال الإنجليزى لمصر أكثر من نذير سوء، ويصور جمال الدين هذا الحادث على أنه كارثة على العالم الإسلامى، وقد أهاب بالمسلمين بباعث من دينهم أن يتكاتفوا لدفع بلاء هذا الاحتلال يقول [٥].

«إن الحالة السيئة التى أصبحت فيها الديار المصرية لم يسهل احتمالها على نفوس المسلمين عموما.. إن مصر تعتبر عندهم من الأراضى المقدسة ولها فى قلوبهم منزلة لا يحلها سواها نظرا لموقعها من الممالك الإسلامية... إن الفجيعة بمصر حركت أشجانا كانت كامنة وجددت أحزانا لم تكن بالحسبان».

إنشاء مجلة العروة الوثقى:

وقد دفعت هذه الرزايا الأخيرة التى حلت بأهم مواقع الشرق كما يقول جمال الدين إلى إنشاء مجلة العروة الوثقى، ذلك أنها «أيقظت أفكار العقلاء وحولت أنظارهم لما سيكون من عاقبة أمرهم، مع ملاحظة العلل التى أدت بهم إلى ماهم فيه، وقد تألفت عصابة خير من أولئك العقلاء لهذا المقصد الجميل فى عدة أقطار خصوصا البلاد الهندية والمصرية وطفقوا يتحسسون أسباب النجاح من كل وجه، ويوحدون كلمة الحق فى كل البقاع. لايتوانون فى السعى، ولا يقصرون فى الجهد.. واختاروا أن يكون لهم فى هذه الأيام جريدة بأشرف لسان عندهم وهو اللسان

العربى. وأن تكون فى مدينة حرة كبار يس. ليتمكنون بواسطتها من بث آرائهم وتوصيل أصواتهم إلى الأقطار القاصية [٦].

وقد أخذ جمال الدين على عاتقه إنشاء هذه المجلة، وهى مجلة أسبوعية عربية، كان هو مدير سياستها، والشيخ محمد عبده محررها، وكانت تتولى الإنفاق عليها جمعية اسمها العروة الوثقى ذات فروع فى الهند ومصر وغيرهما من أقطار الشرق[٧].

ولم يقدر لهذه المجلة البقاء طويلا، فقد صدر العدد الأول منها فى ١١ مارس سنة ١٨٨٤، والعدد الأخير فى ١٧ أكتوبر ١٨٨٤ ولم تصدر سوى ثمانية عشر عددا فقط.

أهداف العروة الوثقى:

كان الهدف من إصدار العروة الوثقى كما حدده صاحباها بأسلوبهما هو:

١ـ تحذير الشرقيين عموما، والمسلمين خصوصا من تطاول الأجانب عليهم، والإفساد فى بلادهم، والكشف عن المسالك الدقيقة التى يسرى بها الطامعون فى دياجير الغفلات.

٢ـ سكب مياه النصح على لهيب الضغائن لتلاقى قلوب الشرقيين عموما على الصفاء والوداد.

٣ـ بيان الواجبات التى كان التفريط فيها موجبا للسقوط والضعف.

٤ـ توضيح الطرق التى يجب سلوكها لتدارك مافات والإحتراس من غوائل ما هو آت.

أهداف الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة من خلال التحليل الشامل لاعداد مجلة العروة الوثقى الإجابة على الأسئلة الآتية:

١ـ إلى أى مدى نجحت صحيفة العروة الوثقى فى تحقيق الأهداف المنوطة بإنشائها؟

٢ـ ما هى الموضوعات التى ركزت عليها الصحيفة أكثر من غيرها خلال فترة صدورها؟

٣ـ إلى أى مدى نجحت فى استخدام الامكانيات الصحفية وفى تفهمها لوظائفها الإخبارية؟

٤ـ ما هى المقومات الأساسية لنجاح العروة الوثقى كمجلة إسلامية عالمية؟

مراجع الفصل الأول

(١) د. محمد البهى: «الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى» مكتبة وهبه ١٩٧٥ط ٨ ص ٢٧.

(٢) مرجع سابق: ص٢٨.

(٣) مرجع سابق: ص ٦٧.

(٤) مجوعة العروة الوثقى ص ١٥.

(٥) مجموعة العروة الوثقى ص ٤٤.

(٦) مجموعة العروة الوثقى ص ٤٦.

(٧) مجموعة العروة الوثقى ص ٢٤.